حول مخطوط "مقالة في الطب"

لأبي عبد الله محمد الشقوري (كان حيا سنة 776هـ)

Manuscript "Article on Medicine"
By Abu Abdullah Muhammad Al-Shaqouri (was alive in the year 776 A.H.)

أنوزلا مجيد[1]

كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس– فاس، المغرب؛

anouzlamajid@gmail.com

تاريخ الاستلام: 11 /2022/11 **تاريخ القبول**: 01 /2022/12 **تاريخ النشر**: 20 /2023/01

الملخص:

الهدف من هذه المقالة المحاولة التعريف بأحد علماء الطب بالأندلس خلال الفترة الوسيطية؛ إذ يعالج صاحبها الأمراض التي تصيب جسم الإنسان من الرأس إلى أسفل القدمين، أي أنه يبتدئ من الرأس مرورا بالبطن وصولا إلى الرجلين، ولكل جزء من أعضاء الجسم يكشف علته وطرق التشافي منه، معتمدا في ذلك على الدراسة والمراكمة خصوصا وأنه كان طبيب البلاط بالأندلس، ومن زاوية أخرى يمكن إعطاء لمحة طبية عرفها المجتمع خلال العصر الوسيط بالأندلس عن طريق مراحل تطورها ومميزاتها من خلال مخطوط أبي عبد الله محمد الشقوري، مع ذكر ما أغفل عنه محمد العربي الخطابي في تحقيقه لهذه المقالة.

الكلمات الدالة: الطب؛ الشقوري؛ الأندلس؛ العصر الوسيط؛ المخطوط؛ طرق العلاج؛ مجربات الشقوري.

Abstract:
The aim of this article is to introduce one of the medical scientists in Andalusia during the Middle Period, as its author treats diseases that

affect the human body from the head to the bottom of the feet, that is, it starts from the head through the abdomen to the legs, and each part of the body reveals its illness and ways of healing from it, relying on study and accumulation, especially since he was a court doctor in Andalusia, and from another angle can give a medical overview that society knew during the Middle Ages in Andalusia through the stages of its development and features through the manuscript of Abu Abdullah Muhammad Al-Shaqouri, while mentioning what Muhammad Al-Arabi Al-Khattabi overlooked in his investigation of this article.
Keywords: Medicine - Al-Shakouri - Andalusia - Medieval period - Manuscripts - Methods of treatment - Al-Shakouri's experiments.

مقدمة:

يظل التراث العربي في مجمله سجلا يُنبئنا عن أحوال الماضيين، وكيفية تعاطيهم مع نوازل عصرهم، وضمن هذا التراث يحتل التراث الطبي مكانة معتبرة، حيث يصف لنا الجوائح والأوبئة والأمراض، ويقدم العلاجات والأدوية التي دونها الأطباء، وتمثل رسالة" مقالة في الطب "لصاحبها الشقوري، من بين المخطوطات التي أرخت للأمراض التي حلت بالأندلس خلال منتصف القرن الثامن الهجري، وعليه ما أحوجنا لدراسة واعية لهذا التراث الطبي، لاستنتاج أسباب الإشكالات الصحية، واستنباط المواد والعلاجات الممكنة الواردة فيه.

فقد جاءت رسالة(الشقوري) هاته في سياق ضرورة التطبيب، وأخذ العلاج والوقاية من الأمراض التي حلّت بالمجتمع، سواء أكان سببه فساد الهواء، أو قضاء من الله، كما يصف في مقالته الطرائق التي يصلح بها الهواء؛ بينما إصلاح الأبدان يكون بالغذاء، والدواء لزوال المرض.

علاوة أن هذه المقالة تندرج من جهة أخرى المحاولة التعريف بأحد رواد الطب في الأندلس خلال المرحلة الوسيطية، وهو (أبي عبد الله بن محمد الشقوري) الذي تمرس هذه المهنة مخلفا العديد من الكتب منها ما هو مخطوط ومنها ما حُقق من قبل الباحثين، لذا

ارتأينا التعريف بأحد الأطباء ومساهمته العلمية في هذا المجال نظرا لراهنيته الحالية، وكذا إبراز دوره في المساهمة في الحد من الأمراض التي عرفها المجتمع[1].

فالطب الوقائي هو الذي يعتني بالإجراءات والتدابير في تتبع المجال الصحّي، ويهتم بدراسة وإيجاد وتطبيق سبل وقاية أفراد المجتمع من خطر الإصابة بالأمراض ولاسيما الأمراض المعْدية، وكذلك التدخل السريع حين حدوثها لمنع انتشارها والتقليل من أضرارها. ومفهوم الطب الوقائي بمعناه الشامل نصّت عليه معظم الأديان السماوية، ومنها الدين الإسلامي الذي وضع ضوابط الوقاية من الأمراض قبل وقوعها، والعلاج منها بعد وقوعها، فقبل وقوعها يكون بالطهارة والنظافة، والمحافظة على البيئة، والطعام والشراب الصحي، والوقاية من انتشار الأمراض والأوبئة المعْدية، حرصًا على سلامة صحة الإنسان والمجتمع والبشرية كلها؛ لأنّ الأمراض المعْدية إذا انتشرت في مجتمع فإنها لا تخص أبناء مجتمع دون آخر، بل تؤثّر في حياة جميع الناس، وأمّا بعد وقوعها فيكون بالتداوي عامة، وينطلق عملنا في هذا المقالة من خلال:

- التعريف بالمخطوط وصاحبه، وأهم المؤلفات التي خلفها، علاوة عن ثقافته العلمية ومصادره،

وطريقته في التأليف.

- طرائق العلاج التي عالجها بها الطبيب الشقوري للمرضى، ومن زاوية أخرى ما هي العوامل المساعدة في الازدهار الطبي بالأندلس، و بعض الملامح الطبية من خلال مقالة الشقوري.

1. حول مخطوط الشقوري:

الغاية من التعريف بهذا المخطوط هو إبراز دور الأطباء العرب وفي انتاجاتهم العلمية، صحيح أن المخطوط تم تحقيقه من قبل الراحل محمد العربي الخطابي في كتابه الموسوم ب" الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي"، غير أنه لم يتم استغلاله من قبل الدارسين في المجال التاريخي، وكذا لراهنيته في الوقت الحالي جراء كثرة الأمراض والأوبئة التي

تصيب المجتمع في الوقت الراهن؛ فهو مخطوط موجود برفوف المكتبة الوطنية بالرباط تحت عدد 1035د. علاوة على أن المحقق لم يعطي لنا معلومات عامة عن المخطوط ومؤلفه. والمقالة المخطوطة أورد فيها الشقوري صفات عديدة من الأدوية المجربة عنده بالنفع في أمراض عدة، وقد عرف هذا المخطوط كذلك ب"مجربات الشقوري".

2. أبو عبد الله محمد الشقوري: حياته– ثقافته– مصادره– طريقته في التأليف:

هو أبو عبد الله محمد بن علي اللخمي الشقوري الأندلسي، ينسب إلى مدينة شقورة (Segura) من أعمال جيان بالأندلس. ولد عام 727هـ، وسليل أسرة غرناطية معروفة، عاشت في مملكة غرناطة النصرية، وتعرف بالأسرة الشقورية، نبغ منهم أطباء، وتعلم الطب على عدد من الشيوخ منهم جده أبو تمام غالب بن علي الشقوري الذي توفي سنة 741هـ[2]، والطبيب الوزير خالد بن خالد (القرن الثامن الهجري) والطبيب (أبو زكريا يحي بن هذيل) (ت 753 هـ/1352 م).

عرف عن الشقوري بالأمانة والتقوى، وقد تصدر لعلاج المرضى مبكرا، فأحرز شهرة واسعة مما جعل سلطان غرناطة وقتئذ يستدعيه ويجعله أحد أطبائه،كما اشتهر الشقوري بالزهد والمجاهدة، وكان أشد الخلق حرصا على سعادة من صحبه وأصرحهم نصيحة له. ويذكر أن أعمام وأخوال الشقوري كانوا يزاولون صناعة الطب، ويعرف منهم جده أبا تمام غالب اللخمي الشقوري، والذي كان أستاذا لمحمد بن علي الشقوري. وقد كان أبو تمام غالب الشقوري صلة وصل بين الشرق والغرب، حيث تلقى تعليمه الطبي في بيمارستان القاهرة بالمعزية[3]. فقد أحرز الطبيب الشقوري شهرة واسعة مما جعل سلطان غرناطة وقتئذ يستدعيه

ويجعله أحد أطبائه، إذ كان أحد أطباء للأمير العني بالله(755هـ-760هـ)، وطبيب دار الإمارة، قديم الصنعة، وأكثرهم نصحا للسلطان، معتدل في البحث والمذاكرة4، متصدرا للعلاج زمن المراهقة.

أما عن شيوخه قرأ عن جده، ومن شيوخ غرناطة الوزير (خالد بن خالد، وأبي زكرياء بن هذيل)، ومن شيوخ التصوف (أبي مهذب عيسى الزيات) وأخوه (أبي جعفر الزيات)، وأخذ شهرة واسعة خاصة في العلوم الطبية ومن تواليفه: تحفة المتوسل في صنعة الطب، والنصيحة وقمع اليهود عن تعدي الحدود الغير المحقق[5].

تميز(الشقوري) بخصال فريدة منذ نشأته إلى غاية دخوله في خدمة حكام غرناطة، حيث قيل عنه أنه:(كان طِرفة في الخير ...نقب في حب الصالحين كثير الهوى لأهل التقوى، نشأ سابغ رداء العفة، كثيف جلباب الصيانة، متصدرا للعلاج في زمن المراهقة، معمما مخولا في الصناعة، بادئ الوقار في سن الحشمة، ثم نظر واجتهد فأحرز الشهرة بدينة ويُمن نقيبته وكثرة حيطته، ولطيف علاجه ونجح تجربته، ثم كِلف بصحبة الصالحين، وخاض في السلوك، حتى ظهرت عليه آثار ذلك، واستدعاه السلطان لعلاج نفسه، فاغتبط به وشد إليه اليد، وهو لهذا العهد ببابه[6]).

كان(الشقوري) في رسالته هاته مفيدا وموجها لكل من أشكل عليه شيء، بأن يسأل أهل الاختصاص من الأطباء(وقد بسطت هذا بأوجز منه في تأليفه المسمى ب " مقالة في الطب" فلنقطع الكلام خشية التطويل ومن شد له شيء أو أشكل عليه فليسأل ويبين له على أتم وجوهه بفضل الله وقوته.

3. مؤلفات أبو عبد الله محمد بن علي اللخمي الشقوري:

خلّف أبو عبد الله بن محمد اللخمي الشقوري عدة مؤلفات ساهمت في تطوير الطب الأندلسي سواء من طرفه نتيجة مرض معين عرفه المجتمع أو تلبية لطلب أحد الأمراء أو القضاة ، ومن جملة تلك الرسائل نجد منها-لا للحصر-:

-"**تحفة المتوسل وراحة المتأمل**"، والذي قسمه إلى ثلاثة أقسام الأول يتناول أمراض المعدة والثاني أنواع المسهلات والثالث منه يتناول نظاما خاصا للعجائز وكبار السن، و"الدور المحيط في صفة عمل البسيط "في علم الحروف.

-"**مقالة في الطب أو مجربات الشقوري**"، يوجد من هذا المخطوط نسخة محفوظة بالخزانة الحسنية في القصر الملكي بالرباط تحت رقم 6323، ونسختان في الخزانة العامة بالرباط الأولى تحت رقم 1035د، والثانية تحت رقم 1680، تتألف هذه المقالة من طائفة من الأدوية المجربة في مختلف الأمراض التي تصيب مختلف أعضاء الجسم من الرأس وحتى القدم.

- "**تحقيق النبأ عن أمر الوباء**"، وقد حُقق جزء منها سمي بالنصيحة، ضمن كتاب "ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف"[7]. إذ يقدم فيها (الشقوري) على النصح الطبي من أجل التدبر والوقاية من الوباء وعلاج المصابين، يقول صاحب الرسالة" هذا هو الكلام في هذه النصيحة على ما شرطته وقد بسطت هذا بأوجز منه في تأليفي المسمى تحقيق النبأ في أمر الوبا، ومن ذلك أيضا أن أفرد (محمد الشقوري اللخمي) على نصح الناس زمن الطاعون بالأندلس وحثهم على الوقاية والاحتياط منه، وذلك بالعناية بطرق شرب الأشربة في الأواني المخصصة لها، إذ حث الناس على أن الشرب الصالح في أقداح الإنجبار الخالص الذي لم يخالطه غيره من أنفع الأشياء وأبلغها في التحفظ منه، لاسيما إذا أنقع القدح وهو جديد في الخل (التعقيم)[8]، ومن أشعاره:

سالت ركاب العز أين ركابي فابدي عناد ثم رد جوابي
ركابك مع سيرى يسير يسيره بغير حلول مذ حلت جنابي
فلا تلتفت سيرا لذاتك إنما تسير بها سيرا لغير ذهاب[9].

وعن مصادره التي اعتمد عليها في تأليف هذه المقالة سوى أحد تجليات لثقافته الأندلسية، فقد أخذ عن(الرازي ت.313هـ)و(جالينوس الذي هو إمام وقته ورئيس الطبيعين في عصره)[10] (عبد الملك بن حبيب السلمي) (ت.238.هـ)، و(الطبيب أبو زكراء يحيى بن أحمد بن هذيل) من أهل غرناطة(ت.753هـ) . والملاحظ لهذه المقالة أن (الشقوري) يبتدأ من الرأس مرورا بالبطن وصولا إلى الرجلين، أي أنه لكل جزء من أعضاء الجسم يكشف علته وطرق التشافي منه.

أما طريقة تناوله للقضايا في هذه المقالة؛ فأول ما يمكن ملاحظته الشرح المستفيض للعلاج وتبيان طرقها المتعددة، ويسهب فيها تحليلا من أجل القضاء على الأمراض التي تصيب جسم الإنسان. ويظهر من خلال ما ورد في المقالة درايته التامة في أمور الطب، خاصة أن الأندلس عرفت أمراض خطيرة هددت حياة الإنسان ومنها مرض الطاعون الذي ضرب ألمرية سنة 749هـ، وخصص مقالة في هذا الشأن حريصا فيه على تقديم النصيحة، ومشجعا على استعمال العلاج. كما أنه عمل على مسألة ضبط الأجوبة في شكل تسلسلي من الرأس إلى القدم؛ وهذا ما يتضح في هذه المقالة من خلال البدأ بعلاج الرأس أولا من يصيب في الرأس من شقيقة والعين والأذن وو...، مرورا ثانيا بعلاج البطن سواء المتعلق تعلق الأمر بالصدر أو الكبد أو الطحال، للوصول ثالثا إلى أسفل القدمين من إصابة الجسم بمرض النقرس والمقعدة ثم الصلب والورك.

كما أنه من خلال استعراض للفصول المكونة للمخطوط، يتبين أنها تتضمن معطيات طبية، بل كذلك تسدي خدمة جليلة في معرفة تطور تاريخ الطب بالأندلس؛ من قبيل معرفة الأمراض التي عرفها المجتمع في الغرب الإسلامي، وكيفية طرق علاجها.

4. وصف المخطوط:

يتألف هذا المخطوط من سبعة عشر صفحة، مقياسه 15× 22، وتتضمن كل صفحة منه 23 سطرا، وفي كل سطر مابين 7 إلى 11 كلمة. أما الخط الذي كتب فهو خط مغربي يتميز بوضوحه، غير معروفة المقالة لمن وجهت في بدايه المخطوط، غير أنه أسعفنا المحقق محمد العربي الخطابي، على أن المقالة وُجهت تلبية لطلب القاضي أبي القاسم محمد بن أحمد الحسني السبتي(ت.760هـ)[11]. كما لا توجد مقدمة كما هي العادة في كتابة المخطوط، بل تبدأ أولى الصفحات مباشرة" سألتني أمدك الله بأنوار الحكمة"، ولا وجود لنهاية هذه المقالة من قبيل تاريخ انتهاء ولا مكان كتابته ولا جملة السلام عليكم، ولا الجهة الكاتبة لهذا المخطوط، هل من قبل محمد الشقوري نفسه؟ أم أحد تلاميذته؟ وهو ما يفسر في البتر الواقع في أوراقه الأخيرة. غير أن المحقق أسعفنا في أن هذه المقالة كُتِبَت للسبتي الغرناطي الذي توفي سنة 760هـ[12]، ويبدو أنها إجابة عن أسئلة طرحها عليه القاضي السبتي، ويبدو أن هذه المقالة نسخت في القرن 7هـ، وهذا ما يؤكده صاحب الإحاطة في أخبار غرناطة" هذا الرجل طرف في الخير والأمانة، فذ في حسن المشاركة، نقي في حب الصالحين، كثير الهوى إلى أهل التقوى، حذر من التفريط، حريص على التعلق بجناب الله، نشأ سابغ رداء العفة، كثيف جلباب الصيانة...، مخولا في الصناعة...، حتى استدعاه السلطان لعلاج نفسه، فاغتبط به، وشد اليد عليه، وظهر له فضله"[13].

5. مضامين المخطوط:

يتضمن المخطوط مجموعة من طرق العلاج التي تصيب جسم الإنسان من رأسه إلى أسفل قدميه؛ ويمكن إجمال هذه الطرائق في العلاج فيما يلي:

العلاج العام في أنواع داء الثعلب: (يدق الخردل ويعجن بالخل، ويدلك به برقاعه، صوف حتى يدمى، فإن تقرح مسح عليه بشحم البرك ثم يعاد عليه بالدلك حتى يبرأ وينبت الشعر سواء كان في اللحية أو الرأس)[14]، أما في حالة انتشار الشعر فيطبخ الآس ويجعل الطبيخ على مثله زيتا ويطبخ حتى يذهب الماء ويمشط له. وقد تحدث عن الدماغ وميز فيه الصداع الحار

والبارد، فالأول ففيه نوعين فالقوي يصلح فيها عصارة البنج ودهن الورد وقليل الخل، وأما البارد فيدهن بالأدهان الحارة كدهن البابونج والشبت والسوسن واللوز المر بعصارة النمام وعصارة المرزنجوش بقليل خل العنب، وأما الضعيف فعصارة الكزبرة الخضراء مع دهن الورد وقليل الخل. وبين في مرض الشقيقة، فالحارة منها يستدل عليها بالحرارة وشدة الوجع، وأما الباردة، فيقطر في الأنف دهن النارين ويدهن به مع كثرة الدلك لنصف الرأس.

أما في العين فقد عددها، فأشار إلى طرق العلاج الأجفان الباردة والجرب والصُواب وانتشار الشعر والشعر المنقلب[15].

أما عن الأذن ناقش فيها طريقة علاج منها الأوجاع الذي يسكنها دهن الورد إذ يغلى فيه قدر درهم من قشور الرمان، وقلي الدويبة الكثيرة الأرجل الدكنة اللون، والصمم فعلاجه دهن الخردل، في حين كان علاج المدة– القيح– يغلى خبت الحديد في الخل غليات ثم يصفى ويقلى الخل على الدهن ، ويقطر في الأذن حتى يجف الماء والمِدَّة، والدودة فيقطر عصارة ورق الخوخ في الأذن فتقتلها وتخرجها[16].

وبالنسبة للأنف ففيه الخشم والزكام والنتن والرعاف، فالأول ينفع معه الشونيز المنقع، والثاني شم ماء الورد وصبه على الرأس والتبخر بالصندلين، والثالث فيعمد إلى أعواد النخيل الأخضر في الزيت الطيب حتى يخرج من قوتها ويقطر في الأنف، والرابع فيكون من الأنف ومن حجب الدماغ، وسببه الامتلاء أو رقة الدم وحدته، ففي الامتلاء يستفرغ الدم بالفصد والحجامة، وأما رقة الدم فتغليظه بالأدوية المختلطة17.

في حين الحاجب فينبت فيه شعر جوز الأكل تحرق ويمسح بها الحاجب، أما عن الوجه فلتجميله وتبييضه، سمن طيب ونصف أوقية مصطكى تحلها في السمن، ونصف أوقية شمع أبيض مقصر[18].

أما عن مرض الزكام وعلاجه فالتبخير بالأنيسون والقرص السبتي والعود الهندي[19]. والحلق علاجه الغرغرة برب التوت ورب الجوز وعصارة الذئب، أما عن أمراض الصدر، فمنها السعال دواءه شراب الخشخاش في حالة الحرارة مرتفعة، أما في خالة يبسها شراب البنفسج السكري، وفي حالة اعتدالها شراب العناب ودهن اللوز الحلو مأكولا وممرخا به[20].

في حين علاج ضيق التنفس فيكون الصفد إن فيه حمرة والحرارة، أما إن كان سعال سابق فعلاجه مع أدوية السعال. أما الصدر والرئة ونفث الدم فالفصد هو العلاج، وعلاج ورم ذات الجنب(هو الوجود بين اللحم والأضلاع) هو اللمس من الخارج[21].

وقد تحدث الشقوري في مخطوطه هذا عن علاج البطن، وفي أوجاع المعدة دوائها معجون القسطران ومعجون الورد العسلي ومعجون النعنع ومربي الورد السكري، أما عن سوء الهضم، فالنسبة الحر المحرق فينفع معه أكل الأطعمة الغليظة كلحوم البقر وثريد رقاق، وأما عن الرد المفجج ، وأما عن برد فعلاجه الفراريج والفراخ والعصافير[22].

أما عن الكبد فألزم مرضاه التقيد بعلاج المكون من ذبيد الورد في حالة الضعف، وطبيخ الأرغيس بقليل خل أثناء الوجع، والكزمارك في حالة الإسهال، وفيما يخص الطحال، ففيه من الأمراض الأوجاع الدهن باللوز الحلو، والعِظَمُ أكل الأطعمة المخصبة الرطبة، والصلابة فيدهنها أكل التين الأسود إذا طبخ بخل حاذق، ويفطر العليل تسع حبات كل يوم[23].

وبالنسبة للأمعاء فعلاجها خاصة في السحوج رب الريحان والجلنار، وأما القروح فإذا تطاولت وكسبت السحوج الوضر فلا يمكن علاجه إلا بعد شفائه من القيح؛ فحينئذ تعطى له الملحمات، وأما المغص فعلاجه القسطران في ذلك اكبر منفعة، ولمعجون الورد العسلي بالماء السخن فائدة عليه[24].

أما البواسير فعلاجه بصل أبيض، يقطع منه أطراف الأسفل والأعلى ويطبخ في الماء ويدق مع السمن البقري حتى يأتي مثل الدماغ لينا فيدهن به أو يضمد[25].

وفي آخر المقالة تطرق الشقوري إلى كيفية علاج الصلب والورك فيسحق السنا حرام ويعجن بالسمن الطري والعسل طوال النهار[26]، أما النقرس فعلاجه السورجان يدق يابسا ويعجن بالماء ويضمد به، وإن كان أخضر فيغنى عن الماء[27].

6. ملامح طبية بالأندلس من خلال مخطوط الشقوري:

تعكس بنية الأدوية التي اعتمد عليها الشقوري في تأليفه هذا على الأدوية والنباتات في الدرجة الأولى، يليها الأدوية المركبة والأعشاب في المرتبة الثانية، وهذه الميزة كان ينفرد بها أطباء الأندلس بناء على أساس نظرية الأسطقسات الأربعة(النار– الهواء–الماء–التراب)، والتي من خلالها يمكن معرفة علل الجسم من خلال لونه أو الأعراض الظاهرة في البطن[28]. وهذا ما جسده الطبيب الشقوري من خلال الانتقال مما هو نظري إلى التطبيقي ومن ذلك أن أجاب عن مسألة في علاج معين وهو النقرس، فأكد على أن علاجه "بالسورجان يدق يابسا ويعجن بالماء ويضمد به، وإن كان أخضر فيغنى عن الماء"[29].، فكانت غايته حفظ الصحة وإزالة الأمراض من جسم الإنسان.

علاوة أن المتصفح للمخطوط يجد صاحبه متمكن من معرفة الأعشاب النباتية ومن أجناسها وصفاتها؛ ومن تلك الأمثلة التي أورد فيها الشقوري النبات للعلاج؛ ففي علاج الدماغ يخلط ورد أرسطوخودس(الذي هو مفتح للسدد، ملطف منق للأحشاء، مقو للأعضاء الداخلة؛ خاصيته تنقية الدماغ، والنفع من المرة السوداء، ويصلح بالكثير)، والخشخاش، ويطبخ في ثلاثة أرطال من الماء حتى يعود إلى رطل[بالتبخر] فيمرس ويصفى ويلقى الصفو على رطل من السكر ويعقد شرابا[30]. وهذا من مميزات الطب في الأندلس لصناعة الأدوية، ومن نماذج الأطباء الذين اعتمدوا على المزاوجة بين التنظير والتركيب عبد الملك ابن زهر(ت.510هـ) الذي تلقى الفقه والقراءات وغيرها من العلوم الشرعية، فقد اهتم إلى جانب ذلك بالطب فكان جيد البحث والاستقصاء في الأدوية المفردة والمركبة، وكان عالما في مجاله، حتى لم يكن في زمانه مثله، وكانت له نوادر في مداولته للمرضى ومعرفته لأحوالهم وما يجدونه من الآلام بمجرد النظر إلى قواريرهم[31]؛ إذ ألف كتابا في "تذكرة في علاج الأمراض"، وكتاب "الاقتصاد في إصلاح النفوس والأجساد"، وكتابه المعلوم "التيسير في المداواة والتدبير"، وهو الكتاب الذي ألفه للقاضي أبي الوليد بن محمد بن رشد (ت. 520هـ)، مما يدل على حرص القاضي ابن رشد الجد على فهم الطب وطرق وأدويته، وترجم كتابه إلى العبرية واللاتينية، وتناوله الأطباء بالدرس والتمحيص، واستفادوا منه في التشخيص وعلم الأمراض وطرقه العلاج[32].

وكذلك كان ابن رشد الحفيد (ت.595هـ) العالم الفقيه، الذي إلى جانب اهتمامه بأصول الفقه والقياس والاجتهاد وكلها مجالات ألف فيها مصنفات، اهتم بالطب وأبدع فيه، فألف كتاب "الكليات"، ولخص كتاب العلل والأمراض لجالينوس، وكتاب الأدوية[33]. وهذا ما يؤدي بنا إلى وجود طب متخصص حسب التخصصات الطبية؛ وهذا ما تعكسه المصنفات المهتمة بالوقاية وعلاج الأمراض حسب كل عضو من الجسم أو الوقوف على القضايا الصحية والمحاولة في علاجها؛ وهذا ما يتجلى في هذه المقالة الموجودة بين أيدينا.

علاوة أن الطبيب الشقوري استفاد من قربه من البلاطات الأندلسية إذ اشتغل بالقصر فطَّور مهارته العلمية، نتيجة وجود خزانة الطب بالبلاطات الأندلسية، والتي كان يستفيد منها الباحثون في الطب ويجدون ضالتهم[34]. والغاية من ذلك استشفاء الملوك المصابين بالأمراض في مدة وجيزة[35]؛ وهذا ما يُستشف في هذا المخطوط من خلال أنه بعد دعوته من قبل رجل من قواد الدولة المولوية اليوسفية يعرف بالعُليقي قد حدث فيه مرض يسمى "عقد" كالحمص وكالبندق شديدة الصلابة، وهي من الأوجاع المبرحة فوق ما يحمله صبره، فجعلت عليه بعض الأدوية المسكنة للأوجاع وأمرته بطبخ أكارع البقر وأن يحضر الجبن العتيق بعد ذلك ففعل، ودققت الجبن على رخامة وسحقته سحقا بليغا كالدماغ وضمدته به وسقيته مرق الأكارع، وفي اليوم الثاني ألفيت تلك العقد قد انفقأت وهي تفور بماء أبيض كماء العجين وفيه أمثال العدس والقمح والذرة في لون الحمص وقوامه وصلابته حتى امتلأ من ذلك وعاء يملأ الكف، وعاد الرجل إلى عقله وأقر للدواء بفضله وبُرِئ وجرى على ولده وأهله وتصرف بعد في خدمته بقية مدته[36]. كما أن المقالة كذلك وُجهت من زاوية أخرى تلبية لطلب القاضي أبي القاسم محمد بن أحمد الحسني السبتي(ت.760هـ)[37]. وهنا تبرز التكامل بين التأليف والممارسة الطبية عند أطباء الأندلس؛ بحيث نجد لكل فريق منهم له اختصاصه.

كما جعل الشقوري في مقاله هذا أن يكون موضوعه الأساس" بدن الإنسان وحفظه وإزالة المرض"، ومن جهة أخرى نلاحظ معرفة صاحب المقالة كذلك بعلم النبات؛ وهذا ما يستشف من خلال الوصفات التي يعطيها للمرضى، وهذا ما يقودنا كذلك إلى أن المعرفة

الشعبية أصبحت مصدرا هاما لصناعة الأدوية بالأندلس سواء في التنظير أو التركيب[38]، وهنا نسجل من خلال المخطوط مراحل تطور تاريخ الطب بالأندلس لعل أبرز سماتها:

المرحلة الأولى: هي الممارسة النظرية انبثقت فيها التنظير أكثر من الممارسة، فنجد ابن رشد في كتابه" الكليات في الطب" الذي ركز فيه على أسس والمبادئ والمناهج الطبية، في حين ركز ابن زهر على العلاج ومسبباته في كتابه " التيسير في المداواة والتدبير"[39].

المرحلة الثانية: وجود مدرسة طبية قائمة بالأندلس نتيجة الرحلة التي أقدم عليها الأطباء بشد الرحال صوب المشرق الإسلامي، وكذا جلب الكتب من مناطق أخرى نتيجة لسياسة التشجيع التي نهجها خلفاء الأندلس[40]، علاوة على اهتمام العلماء بجلب الكتب لاغناء الحياة الثقافية بالأندلس[41].

بقي لنا أن نشير في هذا المقام أن القارئ للنص المحقق من قبل محمد العربي الخطابي، أنه عمل جهدا بليغا في تحقيقه، وأعطى للباحث في التاريخ معلومات هامة عن طرق العلاج من الأمراض البدنية التي تصيب جسم الإنسان وهو مقالة علاجية، بحيث أن الأندلس عرفت أطباء، فصار الطب أشرف العلوم، ومنصب الطبيب في أعلى المناصب، غير أن المحقق لم يشر في تحقيقه أن المخطوط الموجودة في المكتبة الوطنية غير مكتملة وفيه بتر ونقص مقارنة مع المخطوط الموجود بالخزانة الحسنية التي اعتمد عليه في تحقيق التي فيها إضافات أخرى مسهبة فيه، ونشير هنا إلى الإضافة التي أضافها المحقق محمد العربي الخطابي في "كتابه الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي" (((...مع أن العليل سيق في محفة فمشى على أقدامه، فاعتنيت بالدواء ودعاني رجل من قواد الدولة المولوية اليوسفية يعرف بالعليقي قد حدث فيها عقد كالحمص وكالبندق شديدة الصلابة، وهي من الأوجاع المبرحة فوق ما يحمله صبره، فجعلت عليه بعض الأدوية المسكنة للأوجاع وأمرته بطبخ أكارع البقر وأن يحضر الجبن العتيق بعد ذلك ففعل، ودققت الجبن على رخامة وسحقته سحقا بليغا كالدماغ وضمدته به وسقيته مرق الأكارع، وفي اليوم الثاني ألفيت تلك العقد قد انفقأت وهي تفور بماء أبيض كماء العجين وفيه أمثال العدس والقمح والذرة في لون الحمص وقوامه

وصلابته حتى امتلأ من ذلك وعاء يملأ الكف، وعاد الرجل إلى عقله وأقر للدواء بفضله وبرئ وجرى على ولده وأهله وتصرف بعد في خدمته بقية مدته.

ومن أمراض في الساقين حمرة تشبه الدنانير في تدويرها شديدة الألم كأن العظم يضرب فيها بالمطارق ويشتد الألم ليلا ويسكن نهارا، وقليلا ما يعرفه الأطباء، والمحققون له يعرفونه بالشرى وبنات الليل.

وأفضل علاج لهذا الداء دهن الورد مضروبا بخل مشاطرة مع الكزبرة الخضراء حتى يمن الله بالعافية. وفي أيام البرد تنعقد الأصابع وكثيرا ما يكون ذلك في الأطفال، وهو في الكبار قليل، فالصابون إذا دلكت به الأقدام يحل تلك العقد ويمنع من حدوثها إن شاء الله تعالى))).

إضافة إلى عدم وجود بعض الكلمات غير الموجودة في المقال المراد التعريف به، كعدم وجود كلمة" حمير الجرار"، في حين هي موجودة في النص المحقق[42]. وإضافة بعض الكلمات التي أضافها المحقق في تحقيقه، ولم تَرِد في مخطوط الموجود بالمكتبة الوطنية كَ" وأما الحاجب" و"أما الحلق"[43].

7. خاتمة:

تأتي أهمية مخطوط " مقالة في الطب" لأبي عبد الله الشقوري أحد الأطباء الأندلسيين الذي ساهم في تطوير الطب نتيجة الوضعية الاعتبارية التي يحتلها داخل البلاط والتي منحته كل الوسائل لعمله من جهة، وكذا المناخ العام الذي عاش فيه نتيجة وجود أطباء كان لهم صيت في هذا لمجال على اعتبار أن الطب الأندلسي عرف تطورا سواء على المستويين النظري والتطبيقي من جهة ثانية؛ فهذه المقالة تحدث فيها مؤلفها بلغة عربية قوية وبالتفصيل عن موضوع لا زال الحديث فيه الآن عن الطب الوقائي وطرق العلاج من الأمراض التي تصيب جسم الإنسان؛ ومن خلالها كذلك تحدث الشقوري بكلام مسهب عن أمراض الجسم وأنواعه خاصة من الرأس إلى أسفل القدمين، بالإضافة إلى شرحه لطريقة الشفاء من هذه العلل في هذه المقالة خاصة وأن الأندلس عرفت عدة أمراض كمرض الطاعون الذي

ضرب البلاد، كما أنه يلاحظ أن أسلوب المؤلف سلس واضح ينم عن مقدرة صاحبه وسعة ثقافته وطول باعه في اللغة والأدب والبيان، وهو ما يعطينا صورة عن عناية أطباء الأندلس بتهذيب أسلوبهم والإعراب عن معارفهم العلمية بأوضح بيان.

8. الهوامش

[1] - حققت المقالة من قبل الراحل محمد العربي الخطابي ضمن كتاب: **الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب** الإسلامي، مدخل ونصوص، دار الغرب الإسلامي، ط1،1990م

[2]– ابن الخطيب(لسان الدين) **الإحاطة في أخبار غرناطة**، ج4، ص. 202.

[3] – المكناسي(أحمد بن أبي العافية بن القاضي)، **جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م، ج2، ص. 506..

[4]– زينل (نهاد عباس)، **الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، وأثرها على التطور الحضاري في أوروبا القرون الوسطى 92هـ–711هـ**، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى 2013، ص. 251.

[5] – نفسه، ص.179.

[6]– ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج3، ص.178.

[7] – الشقوري (أبي عبد الله اللخمي)، **النصيحة**، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، تحقيق: محمد حسن، منشورات المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، ط1، 2013م، ص. 263.

[8]– نفسه.

[9] – ابن الخطيب، **الإحاطة**، ج3، ص.179.

[10] – صاعد(أبو القاسم بن أحمد الأندلسي)، **طبقات الأمم**، تحقيق: حياة بوعلوان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1985م، ص.84.

[11] – الخطابي(محمد العربي)، **الأغذية والأدوية**، ص.421.

[12]– هو القاضي الأندلسي، من الفضلاء الأدباء، ولد ونشأ بسبتة، وولي ديوان الانشاء بغرناطة، ثم القضاء والخطابة فيها، كما عمل قاضي وادي آش، وتوفي بغرناطة وهو قاضيها سنة760هـ. له ديوان" جهد المقل" وشروح في الأدب والنحو، منها "شرح مقصورة ابن حازم"، ينظر: ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص. 129،

الزركلي(خير الدين) **الأعلام قواسم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم، بيروت، ط15، 2002م، ج5، ج5، ص.327.

[13]- ابن الخطيب(لسان الدين) **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1975، ج3، ص. 178.

[14] - الشقوري، **مقالة في الطب**، م.س، ص. 1

[15] - نفسه، ص.2.

[16] - نفسه، ص.3.

[17] - نفسه، ص.5.

[18]- نفسه، ص.6.

[19]- نفسه، ص.6.

[20]- نفسه، ص.6.

[21]- نفسه، ص.7.

[22]- نفسه، ص.8.

[23]- نفسه، صص. 10-11.

[24]- نفسه، ص.12.

[25]- نفسه، ص.15.

[26]- نفسه، ص.16.

[27]- نفسه، ص. 17.

[28] - بنحمادة(سعيد) **الطب والصيدلية بالأندلس، القواعد والتيارات**، مجلة هسبريس تمودا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية محمد الخامس، الرباط، المجلد1، 2019م، ص.217.

[29]- الشقوري(محمد)، مقالة في الطب، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الرباط، تحت رقم1035د، ص. 17.

[30] - نفسه، ص.5.

[31]- النويهي (عبد السلام محمد)، موسوعة الحضارة الإسلامية علم النبات والصيدلة عند العرب، د.ط، د.س، القاهرة، ص. 173.

[32]- الخطابي (محمد العربي)، الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988م، ط1، ج1، ص. 284.

[33]– النباهي (أبو الحسن المالقي)، تاريخ قضاة الأندلس، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1983م، صص. 98-99.

[34]– ابن بسام(أبي الحسن الشنتريني)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1997م، ص. 51.

[35] – نفسه، 120.

[36] – الخطابي(محمد العربي)، **الأغذية والأدوية**، م.س، ص. 438.

[37] – نفسه، ص.421.

[38]– بنحمادة(سعيد) **الطب والصيدلية بالأندلس**، م.س، ص. 207

[39] – ابن زهر(عبد الملك)، التيسير في المداواة والتدبير، تحقيق: ميشيل الخوري، دار الفكر، دمشق، 1983م، ج1، ص.5.

[40] – ابن أبي أصيبعة(أبي عباس أحمد)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق ودراسة: عامر النجار، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1996م، ص. 494.

[41] – صاعد(الأندلسي)، **طبقات الأمم**، ص. 63.

[42] – الخطابي(محمد العربي)، **الأغذية والأدوية، ص. 425**.

[43] – نفسه، ص. 427.

10. قائمة المراجع:

- ابن أبي أصيبعة(أبي عباس أحمد)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، تحقيق ودراسة: عامر النجار، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1996م.

– ابن الخطيب(لسان الدين) **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1975، ج3.

– ابن بسام(أبي الحسن الشنتريني)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1997م.

– ابن زهر(عبد الملك)، **التيسير في المداواة والتدبير**، تحقيق: ميشيل الخوري، دار الفكر، دمشق، 1983م، ج1.

– الخطابي (محمد العربي)، **الطب والأطباء في الأندلس الإسلامية**، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1988م، ط1، ج1.

– الخطابي(محمد العربي)، **الأغذية والأدوية عند مؤلفي الغرب الإسلامي**، مدخل ونصوص، دار الغرب الإسلامي، ط1،1990م.

– الشقوري (أبي عبد الله محمد اللخمي)، **النصيحة، ضمن كتاب ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف**، تحقيق: محمد حسن، منشورات المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، قرطاج، ط1، 2013م.

– الشقوري(أبي عبد الله محمد اللخمي)، **مقالة في الطب**، مخطوط بالمكتبة الوطنية، الرباط، تحت رقم1035د.

– المكناسي(أحمد بن أبي العافية بن القاضي)، **جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973م.

– النباهي (أبو الحسن المالقي)، **تاريخ قضاة الأندلس**، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط5، 1983م.

– النويهي (عبد السلام محمد)، **موسوعة الحضارة الإسلامية علم النبات والصيدلة عند العرب**، د.ط، د.س، القاهرة.

– بنحمادة(سعيد) **الطب والصيدلية بالأندلس، القواعد والتيارات**، مجلة هسبريس تمودا، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية محمد الخامس، الرباط، المجلد1، 2019م.

– زينل (نهاد عباس)، **الإنجازات العلمية للأطباء في الأندلس، وأثرها على التطور الحضاري في أوروبا القرون الوسطى 92هـ–711هـ**، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى 2013م.

– صاعد(أبو القاسم بن أحمد الأندلسي)، **طبقات الأمم**، تحقيق: حياة بوعلوان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1985م.

– الزركلي(خير الدين) **الأعلام قواسم تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم، بيروت، ط15، 2002م، ج5.